باب التربية:

1-«دور التعليم التربوي في ترسيخ ثقافة التسامح»

The role of educational education in consolidating a culture of tolerance

بقلم الدكتور :أمين مخفوظي

D. Amine Makhfoudi

المؤسسة الأصلية: أستاذ محاضر صنف أ في جامعة الدكتور يحيى فارس المدية/ الجزائر

Dr. Yahya Fares Medea Algeria University

amine_pto@hotmail.fr

الهاتف: 0771680714

تاريخ الإرسال: 10/ 7/ 2022 تاريخ القبول: 25/8/ 2022 تاريخ النشر: 25/9/ 2022

ملخص الدراسة:

ينبغي التأكيد على أن المدرسة كمجال تربوي تقوم بوظيفتين أساسيتين، فهي من جهة تقدم لغة وأيديولوجية وثقافة معينة، كما أنها تنقل ذاكرة وأحاسيس تاريخية مشتركة من خلال المعارف المعروضة للتعلم. وفي هذه الحالة فإنها تنقل معارف ومرجعيات معلنة وغير معلنة. ومن ناحية أخرى تشكل المدرسة عموما ونشاط التعليم خصوصا عبارة عن مساحة خيالية لصورة المجتمع وصورة السياسة، يتم عن طريقها إنشاء نظام اجتماعي قائم على قيم معينة، ومستعدا لمقاومة حركات وقوى ضاغطة قد تنشأ في المجتمع، ولعل أهمها ما يرتبط بالعنف والأفراد المنتمين بشكل غير قصدي في شبكات غير رسمية من الشبكات التي ابتعدت عن نواة النظام التربوي، والذي يقر بقيم معينة أهمها « إقرار التسامح ونبذ العنف».

الكلمات المفتاحية: التعليم – التربوي – الترسيخ – ثقافة التسامح

Study summary:

It should be emphasized that the school, as an educational field, performs two main functions. On the one hand, it presents a specific language, ideology, and culture, and on the one hand, it transmits a common historical memory and feelings through the knowledge offered for learning. In this case, it conveys declared and undeclared knowledge and references. On the other hand, the school in general and the activity of education in particular is an imaginary space for the image of society and the image of politics, through which a social system is established based on certain values, ready to resist movements and pressure forces that may arise in society, perhaps the most important of which is related to violence and individuals who belong unintentionally in Informal networks of networks that have moved away from the core of the educational system, which recognizes certain values, the most important of which is “the adoption of tolerance and the renunciation of violence”.

Keywords: education – educational – consolidation – culture of tolerance

مقدمة:

يعد التعليم أحد أهم أسس المشروع التربوي الهادف الى ترسيخ القيم، هذه الأخيرة التي أصبحت مهددة في وجودها كأحد إفرازات الأحداث العالمية السريعة وبسبب التغير التكنولوجي. ولعل أهم القيم التي أصبحت الدول تولي لها اهتماما خاصا هي قيمة «التسامح».

والتعليم سواء كان منظما من قبل الدولة بشكل مباشر أو مراقبا من طرفها، يبقى بلا شك السبيل الأمثل لتكوين شخصية الأفراد على القيم العليا. ونظرا لأهمية التعليم في هذا المجال، فإنه بدل ما كان يطلق في أوربا قبل الثورة الفرنسية على المعلمين

«الأوصياء Les Regents» فقد أصبحوا يُسمّون «المؤسسين» Les instituteurs ، «لأن مهمة المعلم هي» تأسيس الأمة بالمعنى الذي تشير إليه المادة الثالثة من إعلان حقوق الإنسان والمواطن. (دومنيك شنابر وآخرون، 2016، ص 191)

مفهوم التسامح:

التسامح هو أحد المبادئ الإنسانية، يعني نسيان الماضي المؤلم بكامل إرادتنا، والتخلي عن الانتقام أو إيذاء الآخرين لأي سبب كان. وهو سلوك يقوم على التركيز في الجوانب الايجابية عند الآخرين دون الجوانب السلبية، والتخلي عن إطلاق الأحكام المسبقة.

التعريف اللغوي:

حسب معجم المعني الجامع، تدل كلمة تسامح على مجموعة من الصفات هي: التساهل، الحلم، العفو... إلخ.

ويذكر ذات المعجم « التسامح الديني»، وهو يعني احترام عقائد الآخرين، والعفو عنهم. كما استخدمت كذلك كلمة «تسامح» في العتاب.

وحسب معجم لسان العرب لابن منظور «من الكلمات القريبة لكلمة التسامح: السماحة وهي تدل على الجود، والسماح ». (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بدون سنة، ص ...)

كلمة التسامح يقابلها في الفرنسية Tolérance وهي تدل لغويا «على التخلي عن الانتقام من الآخرين والعفو عنهم، وتحمل الاعباء الخارجية التي تصدر من الآخرين أو من المحيط الخرجي عموما، سواء تعلق الامر بالعنف الصادر من الناس او بالعنف الذي تثيره البيئة كالضجيج مثلا » .

www.www/doctionnaire/francais/tolérance78312/

تجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم التسامح في اللغة الفرنسية والانجليزية لديه حركية في الاستخدام حسب كل مجال، ويمكن استعراض أهمها ما يلي :

1 - في المجال الطبي: Tolérance تعني عدم الاستجابة المناعية لبعض المضادات، وهي حالة ناتجة عن شلل مناعي موجود من قبل أو ناتج خلال أول اتصال

بالمضاد. كما تدل على الاستعداد الذي يمتلكه العضو لأجل تحمل جرعات مضاعفة ومدعمة دون ظهور أي أعراض للتسمم.

2 – في المجال الديني: تدل الكلمة على احترام حرية الآخرين في المعتقد، والانفتاح على الآخرين من ديانة او معتقد مختلف.

3 – في المجال التقني: tolérance هي كلمة محددة ببعد تقني، بحيث يمكن للقيمة المتحصل عليها في آخر قياس أن تكون القيمة الصحيحة.

4 – في المجال المالي: تدل هذه الكلمة على الحد الأقصى من الفارق بين الوزن والصفة الحقيقية والوزن والصفة القانونية.

www.larousse.fr/doctionnaire/francais/tolérance78312/

إن كلمة « تسامح » من الناحية اللغوية وحسب مجالات استخداماتها تدل على معنى مشترك، هو إحداث حد أقصى من التباعد بين ما هو موجود وما يجب أن يكون بصفة ايجابية.

التعريف الاصطلاحي:

من الناحية الاصطلاحية، تدل كلمة تسامح على معنى مشترك في مجال الدين والفلسفة والثقافة والسياسة والتربية، وهي القدرة على تقبل أفكار وآراء الآخرين، وأحاسيسهم. وهو عامل أساسي في حرية التفكير ونمو الضمير.

التسامح هو فعل وسلوك، يظهر من خلال القدرة على التحمل و/أو عدم منع من يخالفنا وعدم تجنبه. وهو كذلك تنازل يحدث بناء على مبادئ وقواعد معينة. وفي مجال علم الاجتماع، فإن قمة التسامح في جماعة او مجتمع معين ترتبط بنسبة الأفراد الأجانب الذين يتم تقبلهم في المجتمع دون أن ينتج ذلك مظاهر العزلة والتهميش. وفي هذا المجال يتم الحديث في اللغة الفرنسية عن Maison de tolérance وهو بيت دعارة تمارس نشاطها تحت المراقبة القانونية والإدارية، تم القضاء على هذا النوع من البيوت سنة 1946» .

(Latifa Ibn Ziaten et Anne Jouve, 2016, P19)

الفرق بين التسامح والتصالح:

يختلف التسامح عن التصالح، فيعرف التصالح على «أنه استعادة الثقة في العلاقة مع الآخر من خلال قيام الطرفين المتنازعين بسلوكيات متبادلة جديدة بالثقة تجاه بعضهما».(مشيل أ. ماكلو وآخرون،2015،ص 11)

فيلتزم الطرفان بأداء بعض الواجبات تجاه الآخر. يتضمن التصالح رغبة الطرفين في العمل معا في جو من الثقة ، بينما في التسامح قد يرغب أحد الطرفين أو كلاهما الاعتذار والتسامح دون أن يسعوا إلى إقامة علاقة مع بعضهم أو استعادتها. كما أنه قد يحدث التصالح بحيث يكون لدى كلا الطرفين رغبة في التعامل معا في بعض تفاصيل الحياة دون أن يحدث التسامح، وذلك بسبب وجود مصالح مشتركة.

التسامح من خلال الدين والآداب:

التسامح كقيمة لقي اهتماما كبيرا في مختلف الديانات السماوية. وبشأنه في الدين الإسلامي تقول المستشرقة الإيطالية لورافيسيا فاغليري Laura Veccia Vagleiri (1893-1989)) في حديثها عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم: « كان محمد المتمسك دائما بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعا الأناة دائما، اعتقادا منه بأن الزمن سوف يتم عمله » .

(لورافيسيا فاغليري، 1981، ص73)

وعلى خطى لورافيسيا فاغليري يذهب كثير من المستشرقين في حديثهم عن التعايش الذي شهدته الديانات السماوية خلال الحكم الإسلامي، وعن تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، وكيف استفاد المسيحيون واليهود من سماحة الإسلام، حيث يقول القس الألماني ميشون : « إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، وهو الذي أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم قتل الرهبان على الخصوص لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس... وقد ذبح الصليبيون المسلمين ، وأحرقوا اليهود عندما دخلوها » . ويختصر الباحث الفرنسي مارسيل بوزار قوله عن التسامح في الإسلام بأنه « واجب ديني وأمر شرعي ». (مارسيل بوزار، 1980، ص183)

أما في الآداب، فإن كثيرا من المشاهير تغنوا بالتسامح وأبدعوا في وصفه ، أمثال إميل سيوران 1995-1911) Emil Cioran)، وريجيه دابراي(1995) Régis Debray، وغوستاف فلوبارت 1880-1821)Gustave Floubert)، وموريس جولي 1878-1829) Maurive Joly)، وفولتير 1778-1694) Voltaire)، و برتراد راسل 1970-1872) Bertrand Russell)... إلخ. ومع اتفاق كل هؤلاء الأدباء والفلاسفة على أهمية التسامح في الحياة البشرية، فإن يوهن فولغانغ فون غويث Johann Volfgang Von Goethe (1832-1749) يختصر التسامح في قوله :

« التسامح لا يمكنه أن يبقى كمرحلة انتقالية، إنما عليه أن يؤدي إلى الاحترام »

.www.toupie.org/citations/tolerance.htm

إن التسامح كمفهوم وكقيمة شهد حركية كبيرة بين الدين والفلسفة والأدب، إلا أنه في نفس الوقت وجد ما يعبر عنه في العلوم الطبيعية على غرار الطب والفيزياء والكيمياء، وفي مجال الرياضيات، وفي المجال الاقتصادي، بحيث يكون هذا التعبير تعبيرا كميا وإجرائيا، مما يعني أنه يمكن البرمجة لهذا الهدف الإنساني في مجال الصحة النفسية وفي مجال الإرشاد التربوي، وفي مجال الإصلاح التربوي والاجتماعي، ويمكن متابعته بالتقدير الكمي على غرار التحليل الكيفي، وذلك رغم صعوبة التقدير الكمي في هذا المجال.

التسامح في مجال التربية والتعليم:

أصبح النقاش على إعادة النظر في كيفية إدماج التربية الأخلاقية في المدرسة عملا متكررا في مختلف الدول. كما أنه زاد التأكيد على أن تكون ممارسات المعلمين عاكسة بشكل فعال للقيم الأخلاقية المطلوبة من قبل النظام التربوي القائم. وفي هذا المجال يطرح التساؤل :

- كيف يمكن للتعليم أن يطبق لتعليم التسامح؟
- ماهي الأدوات والممارسات اللازمة لزرع وتنمية قيمة التسامح عند المتعلمين؟

في المؤتمر العام لليونسكو، والذي عقدته الدول الأعضاء في نوفمبر سنة 1995 حول إعلان مبادئ بشأن التسامح، أكدت الدول الأعضاء على حق الإنسان في العيش بكرامة واحترام في جو يسوده التسامح. ولأجل تعزيز مبدأ التسامح شملت ديباجة

المؤتمر مجموعة من المواد، من بينها المادة الرابعة المتعلقة بالتعليم كمجال لتعزيز مبدأ التسامح، والتي تنص على ما يلي:

1 – إن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات فضلا عن تعزيز عزمهم علة حماية حقوق وحريات الآخرين.

2 – ينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجبع على اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، أي الجذور الرئيسة للعنف والاستبداد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الاثنية والثقافية والدينية واللغوية وفي ما بين الأمم.

3 – إن التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة النشء على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي الأخلاقي.

4 – إننا نتعهد بمساندة وتنفيذ برامج للبحوث الاجتماعية وللتعليم في مجال التسامح وحقوق الإنسان واللاعنف. ويعني ذلك إبلاء عناية خاصة لتحسين إعداد المعلمين، والمناهج الدراسية، ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية بما فيها التكنولوجيات التعليمية الجديدة، بغية تنشئة مواطنين يقظين مسؤولين ومنفتحين على ثقافات الآخرين، يقدرون الحرية حق قدرها، ويحترمون كرامة الإنسان والفروق بين البشر، وقادرين على درء النزاعات أو على حلها بوسائل غيرعنيفة » .

http://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html

التسامح كقيمة مستهدفة من طرف التعليم هو خاصية تتراوح بين الفردانية والبيئة، وهنا يكون التسامح متأثرا بالقيم المعاصرة التي تركز على التنافس والإنتاجية وتحقيق المنفعة المباشرة والسريعة. الأمر الذي أصبح متأثرا بشكل كبير بالمفاهيم المعصرة وعلى رأسها« جودة التربية والتعليم »، والتي هي في الحقيقة استجابة لجماعات اقتصادية مهيمنة، سواء الجماعات الصغيرة التي تبحث عن مكان لها من خلال الترويج للثقافة الاستهلاكية ، أو الجماعات الاقتصادية المهيمنة والتي تبحث عن الكفاءات المنتجة.

في هذه الحالة يكون الفرد بما فيه الطفل ضحية تحديات الحداثة المتسللة بشكل غير مباشر عبر التعليم، والتي تتضمن الإقصاء، الهجر، غياب البيئة الآمنة، وخاصة ضحية لعلاقة عبر عنها كونديرا في رواية أطلق عليها اسم «البطء » إن هناك صلة بين السرعة النسيان، فيقول :«ان درجة السرعة تتناسب طردا مع كثافة النسيان»، والسبب أن التركيز على جذب انتباه الأفراد في بداية البداية سيخلق استحواذا عليهم وجعلهم مستهلكين . (زيغمونت باومان، 2016، ص196) مما يتطلب إبعاد الأمور الأخرى ذات الأهمية الكبيرة من دائرة اهتمامهم. وهذا ما يحدث فعلا عن طريق التعليم الخاص أو العمومي.

إن دفع المتعلم إلى الحياة الاستهلاكية هي حياة تشمل التعلم والنسيان السريعين. ويكون النسيان مهما في التعلم، ومهما في نشاط التعليم إذا ارتبط بالهدف الحقيقي لعملية التعليم، والأمر هنا يتوقف على نمط المعلومات والإرشادات التي يتم ورودها بشكل متدفق في عصرنا الحالي، ويتطلب اكتسابها السرعة على مستوى التعلم.

وهنا يطرح التساؤل : هل يمكن أن تكون السرعة والتدفق المعرفي عائقا في تعلم قيمة التسامح؟

آليات تنمية قيمة التسامح عن طريق التربية والتعليم :

المدرسة كمؤسسة تربوية، والتعليم كنشاط موجه للطفل، كلاهما يشهد انتقادات لاذعة كلما وقع المجتمع تحت طائلة ظاهرة غير مقبولة، وعلى رأسها العنف، والعنصرية، والتعصب، وهي كلها ظواهر تدل على اهتزاز قيمة أساسية في المجتمع هي « التسامح».

التسامح كقيمة ظلت مرتبطة بممارسات مشتقة من ثقافة المجتمع، إلا أن البراغماتية التي تشهدها المدرسة حاليا جعلت التعليم يسعى إلى التحرر من الثقافة التقليدية في محاولة خفية لنكران الذات، وبالتالي نكران التاريخ، وهذا ما جعل الأنظمة التقليدية تفقد السيطرة على تماسك مجتمعاتها، كما جعل التعليم كنشاط يمارس دون فلسفة تربوية واضحة، ودون نموذج تربوي معين. ويمكن عرض أهم العوامل المؤثرة على ذلك، والتي تعد في نفس الوقت الآليات الأساسية لتنمية قيمة التسامح بين لدى المتعلمين:

1 - التفكير العلمي كطريقة للتربية السليمة:

ما زال التعليم عبر مختلف أطواره من التحضيري إلى الجامعي يركز على الأساليب

التقليدية في التربية والتدريس، باعتماده على التحفيظ، والنقل، والتكرار، والتقليد، والتسميع، مما أدى إلى قتل روح الإبداع والابتكار لدى التلاميذ، وتحويلهم إلى نوع سيّئ من المواطنين، ذلك النوع الذي لا يصلح إلا لكي يؤمر فيطيع ، أو توضع له الخطط فينفذ. وفي هذا المجال تشدد الفلسفة البراغماتية، والفلسفة التربوية عند ديوي على تنمية عادات التفكير عند الطفل بالطريقة العلمية، وهي التربية تقوم بهذه المهمة عليها أن تزود التلاميذ باتجاهات أهمها :

- العقلية المتحررة: يقصد بها التحرر من التعصب لفكرة معينة، لأن الفكرة تبقى تراوح مكانها ما لم تتنزل للتحقق العلمي. كما أن العقلية المتحررة تعني التحرر من الانحياز، وتنمية رغبة التلاميذ في الاستماع إلى وجهات النظر، والاعتراف بجواز الوقوع في الخطأ. وكي يتحقق ذلك يمكن للمدرسة أن تسهم في إزالة العقبات التي تعيق نمو التفكير عند التلاميذ، «بأن تعرض التلاميذ لمواقف تنمي فيهم حب الاستطلاع وكيفية إشباع ذلك بالنشاط المنتج». (سعيد إسماعيل على، 1995، ص99)

- الإخلاص: إن الاهتمام المتشتت هو عدو التفكير، والتفكير يتعرض لهذا التشتت إذا لم يقم على الميل والرغبة والتعاطف. ومن المؤسف أن تكون المدرسة في كثير من الأحيان عاملا في تشتيت انتباه التلاميذ وإضعاف قدرتهم على التفكير في ما يعرض عليهم من مواضيع داخل المدرسة، ويمتد تأثير ذلك خارجها. هذا العامل يصرف التلاميذ عن مواضيع مفيدة لشخصيتهم، ومناسبة تماما لاستعداداتهم وميولاتهم. وهم رغم ذلك يظهرون إخلاصا للنظام المدرسي وللمعلم خوفا من العقاب فقط، ولاجتياز امتحاناتهم بسلام ، ولأجل الحصول على مصادقة المدرسة من خلال الشهادات الدراسية. كل ذلك يحدث دون إخلاص لرغباتهم واستعداداتهم الشخصية.

- المسؤولية: المسؤولية تعني أن ينتبه الفرد لكل خطوة يقوم بها، وأن يتنبأ بعواقب سلوكه. وهذا ما يتعلمه عن طريق المنهج العلمي، وعن طريق المواد العلمية. إن هذا التفكير يجعل الفرد يتحمل عواقب ما يقوم به، ولا يتهرب مما قد يواجهه من عقبات. إلا أن هذا لا يكون صالحا في كل الأحوال، لأن المدرسة في هذه الحالة «تجعل التلاميذ يتعودون على استخدام مقياس للقيم والحقائق داخل المدرسة لا يستخدم خارجها، ومن ثم فإنهم يشعرون باضطراب وتمزق فكري».(سعيد إسماعيل

على،1995، ص99)

تعتبر طريقة المشروع من أبرز التطبيقات التي تقوم عليها التربية البراغماتية، والتي ستكون أكثر فعالية إذا تمت في إطار عمل جماعي، مما يساعد في تنمية قيمة التسامح.

2 – تأثير الاستعارات التربوية:

من المفترض أن الاستعارات التي تستخدمها المدرسة تعكس ثقافة المجتمع الذي أنشأت لأجله. فالتعليم المدرسي وجد ليؤثر في دوافع الأفراد وقناعاتهم الشخصية وقيمهم. « إلا أن التصور الصناعي الحديث عن « **منتجات التعليم** « و» **الحد الأدنى** « و» **أنظمة الإيصال** « جعل ثقافة المدرسة موضوعية أكثر (دونالد أورليخ وأخرون، 2010، ص 37). ورغم ذلك فهي تشهد صراعا بين الثقافة الموضوعية التي تسعى إليها والثقافة التقليدية . والمشكلة تكمن في الثقافة الموضوعية التي تقدمها المدرسة، والتي تتضمن استعارات تربوية يستخدمها المعلمون ومدير المدرسة والنظام التربوي ككل. تكون هذه الاستعارة ايجابية إذا كانت مرتبطة ببيئة المدرسة الاجتماعية والثقافية والجغرافية.

إن الاستعارة التربوية تصبح مزيجا من المنهج العلمي القائم على الموضوعية، ومن الذات الجمعية التي تسعى للحفاظ على هوية الجماعة وديمومتها، وبفعل هذا الانصهار تجد المدرسة نفسها مضطرة إلى تنمية قيم أساسية أهمها «التسامح» .

3 – تأثير الأنظمة المدرسية الفرعية:

ترتبط ثقافة المدرسة بمفهوم « **النظام** » ومفهوم « **صحة المؤسسة** » ، ذلك أن النظام المدرسي الصحي هو الذي تتفاعل عناصره بشكل إيجابي بغية تحقيق الأهداف المحددة. وتتمثل العناصر المكونة للنظام المدرسي من العامل البشري بكل ابتكاراته وإبداعاته، وثقافته، وايديولوجيته، ومن القواعد والأعراف والمواد والقوانين. تمارس التفاعلات التي تحدث بين هذه التفاعلات خلال الحصص الدراسية وخارجها، مشكلة أنظمة فرعية سواء كانت رسمية أو غير رسمية كجماعة الرفاق، والجماعات العلمية، والجماعات الرياضية، والنقابيين، وأعضاء النوادي... الخ .

الأنظمة الفرعية هي عناصر مهمة لنقل ثقافة ومعارف معينة، وتكمن أهميتها الكبرى في نقل القيم الايجابية للحفاظ على تماسك المجتمع وتماسك المؤسسة، لذا فعلى هذه الأنظمة أن تعمل على مستوى عال من الكفاءة، وإلا فإن نشاطاتها تأخذ توجها عكسيا.

إن إنتاجية الأنظمة الفرعية للمدرسة تدل على صحة النظام المدرسي، لذا لا يمكن تجاهل المبادرات والنشاطات المقدمة من طرفها. كما أن إنتاجية المدرسة عبر أنظمتها الفرعية ستفرز «ثقافة المدرسة «، وهي ثقافة تتطور وتتحسن وتنمو عبر الزمن، وهو يطرح باستمرارية الحاجة إلى تحسين المدرسة.

1 – تأثير تفاعل العوامل الداخلية والعوامل الخارجية للمدرسة:

تواجه المدارس العمومية الكثير من الالتباسات التي تؤثر على العلاقات وعلى التفاعلات التي تحدث خلال العملية التعليمية، وخلال نشاطات المدرسة ككل. خاصة أنها ما زالت تتخبط في عدم وضوح أهدافها القيمية (استمرار الجهوية، مشكلة اللغة، مشكلات مرتبطة بالتاريخ)، خاصة أنها في الجزائر تعيش تناقضا واضحا مع البيئة الخارجية مما يجعلها في الأخير تعود للمعايير المرتبطة بالثقافة المحلية لتدمج وتصبح عنصرا من ثقافة المدرسة. إن مواجهة مشكلة العنف مثلا تغيب البحث عن أساليب مرتبطة بتنمية التفكير الوجداني، أو دراسة التغير في العلاقات الاجتماعية. وفي هذه الحالة تصبح التربية والتعليم عرضة لأخطار البيئة الداخلية على غرار البيئة الخارجية. وهنا يطرح التساؤل: لماذا رغم توجهات وزارة التربية والتعليم لتكوين المعلمين قبل وفي أثناء الخدمة يكون العنف في تزايد مستمر؟ لماذا لا يستطيع الأفراد داخل المدرسة أن يسيّروا مشكلاتهم بانفتاح في كثير من الحالات؟

غالبا ما يعمل المعلمون في عزلة، كما أنهم ورغم التكوين المستمر، فإنهم غالبا لا يستفيدون من تلك المعارف المكتسبة، كما أنهم لا يستفيدون من خبرات من سبقهم من المعلمين. إن العزلة المهنية للمعلمين عن البيئة الداخلية للمدرسة وللمجتمع التربوي وعن البيئة الخارجية قد يجعل أساليب تدريسهم غير فعالة بالنسبة للمتعلمين، حتى وإن امتلك المعلم أساليب متطورة.

يعد العمل في عزلة أحد مظاهر الثقافة المدرسية، التي تعيق معالجة مشكلة المجموعات من المتعلمين وحتى المعلمين، كون ذلك يحول دون تبادل الآراء والتجارب والانفتاح داخل المدرسة، ويكون التعليم متمركزا فقط حول المعرفة الموضوعة للتدريس. كما أن

هذه العزلة تحول دون إحداث إجراءات وأفكار مبدعة. وأكثر ما يتم عرقلته هو تكوين التوقعات الإيجابية بين مختلف أطراف العملية التعليمية والتربوية.

2 – معززات التعليم والتعلم:

يسعد كثير من المعلمين بنجاح تلامذتهم في مهمة تعليمية ما، ويعبرون عن ذلك عادة بالأحكام والملاحظات التي يقدمونها (جيد، ممتاز...). ولتحقيق نهايات التعلم على مستوى التلاميذ يعتمد على عدة معززات وحوافز كتقدير لعملهم ولعمل المعلم. وذلك ما ينعكس على نشاط الطرفين في زيادة دافعيتهم للتعلم.

يعتبر الاحترام أهم حوافز التعلم، واهم الحوافز المشجعة على ممارسة المهنة وعلى تجاوز المشكلات المدرسية. وهنا تكون جدلية معروفة عند المعلمين هي: « إن الحصول على احترام الزملاء عندما يحقق تلاميذك أكثر من المتوقع». (دونالد أورليخ وأخرون، 2010، ص 40) مما يعني أن الاحترام كمتغير أساسي في قيمة التسامح عامل أساسي لتحسين سير العملية التعليمية.

التسامح كاستراتجية لمواجهة المشكلات داخل المدرسة:

تجدر الإشارة أولا إلى أن التسامح لا يعني تغييب القانون أو التشريعات وضعية كانت أو دينية. إنما هو قدرة الفرد على الاعتراف بالذات، وتحمل مسؤولياته، حتى في حالة الوقوع في الخطأ ، وتقبل العقاب كأسلوب لتنظيم المجتمع والمؤسسات.

يتضمن التسامح ثلاثة مكونات أساسية، عن طريقها يتم اقتراح استراتيجيات لتحقيق التسامح في شكله النهائي كما يلي:

3 – المكون المعرفي:

وهو اتخاذ الفرد الذي أسيئ إليه قرار التسامح مع من أساء إليه، وذلك بناء على أفكار إيجابية ومنطقية في نفس الوقت بدل الأفكار السلبية. ويمكن الاستفادة من المكون المعرفي لتنمية قيمة التسامح من خلال الاعتماد على المنهج العلمي، وعلى التجريب في أثناء التدريس، وتطبيق ذلك في مواقف حياتية، بحيث تجعل المتعلم ينمي القدرة على التنبؤ وبناء الفرضيات المفيدة، وبالتالي التفكير في عواقب الأمور. كما أن المنهج العلمي في المواد العلمية والتقنية يؤكد على المفهوم النسقي في تكون المواد. إن تفاعل الوحدات والتفاعل الإيجابي للأنساق هو الذي يؤدي إلى تكوين المواد والأجسام، والشيء

نفسه يحدث بالنسبة للعلاقات الإنسانية.

4 – المكون الوجداني:

هو تنمية الذكاء العاطفي للمتعلمين وللمعلمين كذلك، ولكل المتعاملين التربويين. وعادة ما يرتبط الجانب العاطفي ارتباطا وثيقا بالمكون المعرفي ويدعمه، مما يدفع الفرد للاقتناع بقرار التسامح. وهو يهدف إلى خفض الانفعالات السلبية من خلال استبدال انفعالات إيجابية بها كخطوة نهائية للتسامح الوجداني، والوصول إلى علاقة محايدة مع المسيء. ويحدث هذا في سياق العلاقات غير الحميمية. يستغل المعلم والمرشد التربوي هذا الجانب في مساعدة المتعلم على التحكم في انفعالاته، بحيث يتجنب التسامح الزائف إلى التسامح الحقيقي.

5 – المكون السلوكي :

تؤكد النظرية السلوكية على علاقة المثير بالاستجابة، وأن نوع المثير يؤدي إلى التنبؤ بنوع الاستجابة، فكلما كان سلوك الفرد إيجابيا، تلقى استجابات إيجابية، ويمتد ذلك إلى التغذية الراجعة في العلاقات بين الأفراد. إن تنمية العلاقات بين الأفراد على أساس من الاحترام والتقدير يكون بالتركيز على محتوى التغذية الراجعة. فاستجابات التلاميذ أو المعلمين لا يمكنها أن تأخذ منحى سبرناتي ، لأن السلوك يتأثر كذلك بالاستعداد الفكري بقدر تأثره بالبيئة . كما أن محتوى البيئة التربوية كفيل بالتنبؤ بالمشكلات الأخلاقية والتربوية التي ستواجهها المدرسة ، كما أنه كفيل بتحديد اتجاه مسار تعلم التسامح.

دور الإرشاد النفسي والتربوي في تنمية التسامح عند المتعلمين:

التسامح هو أحد مؤشرات الذكاء العاطفي، تحدث إجراءاته عند المتعلمين من خلال تدخل المرشدين والتربويين والاختصاصيين النفسانيين، من خلال تناول الحالات التي تعاني انخفاض الثقة في النفس، وسيطرة الضمير على الذات، حيث إن هؤلاء الأفراد يعانون من كثرة لوم الذات، وهم عادة أطفال يعكسون نمط تربية أسرية معينة. إن هؤلاء الأطفال يتعلمون التسامح مع الذات.

لقد توصل ماكلو(1998) إلى أن التسامح يحدث بمعدل أعلى عند التورط في الإساءة، وذلك بالنسبة إلى العلاقات الحميمية «. (ميشيل إ. ماكلو ، 2015، ص16) وفي حالة التسامح تنتج علاقات مرضية تكثر ملاحظتها في الأسر وفي علاقات العمل

والعلاقات الزوجية. إن ما يترتب على عدم التسامح في العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة فشل في توقعات الآخرين (المعلمين أو التلاميذ أو المتعاملين التربويين)، وقصور في الكفاءة الاجتماعية.

من بين الإجراءات التي يمكن اعتمادها لتنمية التسامح وتجنب العداء والتوتر في المجال المدرسي ما يلي:

1 – تفعيل سياق العلاقات المتبادلة: من خلال تكليف المتعلمين بمهام وأنشطة تتم فقط من خلال التعلم التعاوني، وتتخللها أنشطة تنمي الذكاء العاطفي.

2 – تفعيل السياق الروحي للتسامح: رغم أن هذا المجال يختلف باختلاف الديانات، إلا أنه في الإسلام يمكن تفعيله من خلال التكوين المعرفي وتقديم الأفكار والآيات والأحاديث التي تبين كرم الله وحبه لعباده، بدل التركيز على معلومات خاصة بالعذاب. كما أن تناول فلسفة الأديان والتعرف عليها عامل مثير مستفز للتفكير يدفع المتعلم للتدبر في الطبيعة البشرية وخصائصها المشتركة، وضرورة التعايش بين جميع الأجناس.

3 – السياق الذاتي للتسامح: مساعدة المتعلم على إدراك صورة ذات إيجابية، والتحرر من سيطرة الأنا الأعلى. يتم ذلك من خلال نشاطات تحدث خلال وضعيات تعليمية تعرض على التلاميذ أثناء عمليات التعلم، والتي تكون مرتبطة بمواقف ثقافية واجتماعية من بيئة المتعلم.

يركز فيجوتسكي Vigotsky حسب منظوره الثقافي الاجتماعي على الأنشطة الإنسانية التي تجري في مواقف ثقافية ، لأنها هي الكفيلة بأن «تخلق في الواقع البنى المعرفية وعمليات التفكير لدينا. والحقيقة أن فيجوتسكي Vigotsky تصور فكريا النمو على أنه تحويل الأنشطة الاجتماعية التشاركية إلى عمليات متشربة داخليا ». (أنيتا وولفولك، 2010، ص143)

ويعتبر إدماج الآباء والمعلمين في هذه العملية عاملا مهما لإثراء تفاعلات الأطفال وتنميتها، ولكي يحقق الطفل فيها النضج، معتمدين في ذلك على ما يسميه فيجوتسكي Vigotsky « **الحوار التعاوني** ».

استنتاج:

يؤكد جيرلي ديفينبانشر وآخرون (Jerryle Deffenbacher & al, 1996) أن بناء الثقة بالذات، وتنمية مهارة إدراك الغضب، والتطلع التربوي، وإقامة علاقات عائلية وشخصية بناءة، وتحمل الضغط، وإدراك الهوية، والتعامل مع مواقف الضعف (محمد سعيد الخولي، 2008، ص191)، كلها عوامل أساسية يوفرها المناخ المدرسي لأجل تدريب انفعالات المتعلمين وتطوير سلوكهم التكيفي في تجاوز المشكلات مع الذات ومع الآخرين. كما أن تطوير مهارة التفاوض حول القيم الاجتماعية الأساسية هو عنصر أساسي في تنشئة جيل قوي مزود باستراتيجيات إدارة المواقف والانفعالات والأزمات، وهو جزء حيوي من نشاط التعلم الذي يمارسه الطفل في المدرسة.

يقول دوركايم حول التربية الأخلاقية: « ... يمثل الطفل مرحلة أو صفة مميزة تتصف بها العقلية البدائية، فالشعوب التي لم تتخط بعد أدنى أشكال الحضارة تتميز في الواقع بهذا النوع من عدم الاستقرار في الأفكار والعواطف، وكذلك بعدم وجود اتصال واضح في تصرفات الفرد. وتكفي في كثير من الأحيان حادثة تافهة لتولد في شعور الفرد ثورات عنيفة ، ثم لا يلبث الهياج العنيف أن يتحول إلى هدوء ووداعة بتأثير إشارة بسيطة أو لفتة أو كلمة ». (إميل دوركايم، 2015، ص 129)

إن هذه الناحية البدائية حسب قل دوركايم يمكن توجيهها والسيطرة عليها بالتهذيب من خلال برامج إرشادية موجهة للطفل بالتركيز على السماح كسمة لا كسلوك مؤقت. إن الصراع الذي يحدث حاليا بين المناداة بالإعلاء من قيمة التسامح مثلما هو في المؤتمر العالمي لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين في نوفمبر 1995 والذي خصص لإعلان مبادئ حول التسامح، في حين تعيش أغلب شعوب العالم تحت وطأة الهيمنة العسكرية والاقتصادية. إن هذا الصراع يزرع في المجتمعات بمن فيهم الأطفال فكرة أن « النظم الاقتصادية والفلسفات السياسية والنظم الحقوقية هي التي تخدم وتطور القدرة الحربية وليس العكس. والاستنتاج من ذلك أن الحرب نفسها إنما هي المنظومة الاجتماعية الأساسية التي تتصارع وتتواطأ في داخلها أنماط تنظيم اجتماعي ثانوي». (حنة أرندت، 1992، ص 11) هذا الوضع يجعل التعليم يحمل عبئا كبيرا على كاهله، وهو كيفية إقناع المتعلم بقيمة التسامح في عالم يسوده العنف في كل المجالات.

في كل الأحوال على المدرسة أن تركز على مجموعة من المبادئ لأجل تطبيق إجراءات التسامح في شخصية المتعلمين، وهي كما يلي :

1 – «تحميل المدرسة مسؤولية التربية لأجل التسامح

2 – اعتماد مقاربات إيجابية لتنمية القيم الأخلاقية

3 – تعليم التلاميذ التفكير الضمني

4 – دمج تعدد الثقافات في التعليم

5 – التركيز والتأكيد على أوجه التشابه بين الثقافات

6 – محاربة العنصرية

7 – خلق مناخ إيجابي في المدرسة » (UNESCO, 1994, P19)

8 – التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية انطلاقا من المؤلفات الأدبية منذ الطفولة

9 – التشجيع على دمج التفكير الأدبي والتفكير العلمي والتفكير الرياضي في نفس الوقت.

خاتمة:

التسامح هو حق من حقوق الإنسان، يدخل في إطار احترام الذات واحترام الآخر. هو عامل أساسي لإحلال السلام الداخلي (داخل الذات) والخارجي ، إلا أنه لا يتعارض مع احترام القواعد والقوانين كوسائل للحفاظ على استقرار واستمرارية المجتمع والدولة. والمدرسة إلى جانب كل متعامليها التربويين ، معنية بتنمية قيمة التسامح، إلا ان ذلك لا يكفي عن طريق إدماج مواد دراسية أو مواضيع خلال مرحلة التعليم، إنما فعالية تعلمه وتحويله الى سمة يكون من خلال إدماج إجراءات التسامح خلال سياقات التعليم، معتمدين على جميع الأدوات الدينية والثقافية والاجتماعية والعلمية.

الحديث عن دور التعليم في تنمية قيمة التسامح عند الأطفال هو حديث عن البناء العاطفي للتلاميذ، الموضوع الذي تتجاهله الأنظمة التربوية في كثير من جوانبها. فهو ليس مجرد تقديم مواد دراسية خاصة بتعليم التسامح، وليس مجرد ممارسات عفوية

من طرف المعلمين في سياق العملية التربوية. إنه يشمل استراتيجيات تتعلق بتوجيه الصدمات والتحكم في التوتر، واستراتيجيات تركز على تدريب المتعلمين على مقابلة مسائل واقعية كالإهانة، والتشاجر، والتدخل لمنع تصعد الخلافات.

إنه لا يمكن فصل مشاعر المجتمع عن مناخ المدرسة، كما أنه لا يمكن فصل مشاعر الأطفال عن التعلم الأكاديمي والتعلم العاطفي، بل هو يرقى إلى نفس مستوى تعلم المواد العلمية واللغات ... والهدف من هذا كله هو تكوين جيل مهذب، قادر على التفكير وعلى توجيه مسائل الحياة بذكاء دون إحداث أي تلوث في الذات أو في البيئة الخارجية.

المصادر والمراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (....): لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ب ط .
2. إسماعيل سعد علي (1995) : فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، ب ط .
3. إميل دوركايم، ترجمة السيد محمد بدوي (2015) : التربية الأخلاقية، المركز القومي للترجمة، ب ط.
4. أنيتا وولفولك ، ترجمة صلاح الدين محمود علام (2010) : علم النفس التربوي ، دار الفكر ، عمان ، ط1.
5. حنة أرندت، ترجمة إبراهيم العريس (1992) : في العنف، دار الساقي، ط1 .
6. دومنيك شنابر وكريستيان باشولييه، ترجمة سونيا محمود نجا(2016) : ما المواطنة؟، المركز القومي للترجمة – مصر ، ط1.
7. دونالد أورليخ وآخرون ، ترجمة عبد الله مطر أبو نبعة (2010) : استراتيجيات التعليم، مكتبة الفلاح – الإمارات، ب ط .
8. زيغمونت باومان، ترجمة سعد البازغي وبثينة ابراهية (2016): الاخلاق في عصر الحاثة السائلة، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، ط1 .
9. لورا فيشيا فاغليري ، ترجمة منير البعلبكي (1981) : دفاع عن الإسلام ، دار العلم للملايين، ب ط.

10.محمود سعيد الخولي (2008): العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، مكتبة الانجلو المصرية، ط1 .

11.مارسيل بوزار، ترجمة عفيف دمشقية (1980): إنسانية الإسلام، دار الأدب – بيروت، ب ط

12.ميشيل إ. ماكلو، وكنيث آ. بارجمنت ، وكارل إ. نورسين، ترجمة عبير محمد أنور (2015) : التسامح النظرية والبحث والممارسة، المركز القومي للترجمة ، ط1 .

13. Latifa Ibn Ziaten et Anne Jouve (2016) : Dis nous Latifa c'est quoi la tolérance? Edition de l'atelier, Paris.

14 - UNESCO (1994) : La tolérance porte ouverte sur la paix, Mannuel éducatif a l'usage des communautés et des écoles .

51 -http://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html

16 - www.larousse.fr /Dictionnaire/ francais/tolerance/78312

17 - www.toupie.org/citations/tolerance.htm

المصادر والمراجع مترجمة:

1. Abi al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur the African Egyptian (...): Lisan al-Arab, Dar Sader – Beirut
2. Ismail Saad Ali (1995): Contemporary educational philosophies, The World of Knowledge.
3. Emile Durkheim, translated by Mr. Mohamed Badawi (2015): Moral Education, the National Center for Translation
4. Anita Woolfolk, translated by Salah Al-Din Mahmoud Allam (2010): Educational Psychology, Dar Al-Fikr, Amman, 1st Edition
5. Hannah Arendt, translated by Ibrahim Al-Aris (1992): On Violence, Dar Al-Saqi, 1st Edition.

6. Dominique Schnaber and Christian Bachelet, translated by Sonia Mahmoud Naga (2016): What is citizenship?, National Center for Translation – Egypt, 1st ed Donald Urlich and others, translated by Abdullah Matar Abu Nabaa (2010): Education Strategies, Al Falah Library – Emirates,

7. Zygmunt Baumann, translated by Saad Al-Bazghi and Buthaina Ibrahimi (2016): Ethics in the Age of Liquid Inquiry, Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, 1st ed.

8. Laura Veccia Vagliari, translated by Mounir Baalbaki (1981): A Defense of Islam, Dar Al-Ilm for Millions Mahmoud Saeed Al-Khouli (2008): School Violence: Causes and Ways of Confrontation, Anglo-Egyptian Library, 1st ed Marcel Bouzar, Translated by Afif Dimashqieh (1980): The Humanity of Islam, Dar Al-Adab – Beirut,

9. Michelle E. McCullough, Kenneth A. Pargument, Carl E. Norsin, translated by Abeer Muhammad Anwar (2015): Tolerance, theory, research and practice, the National Center for Translation, 1st ed.